

الشهيد الحي؛ سيرة قائد لا يغيب



د حسن بشير
استاذ جامعة الامام الصادق



الوفاء/ اليوم يذكرينا بفقد عظيم وموجع عشنا مرارته بألم بالغ؛ إنه الإستشهاد المظلوم لقائد أفتى عمره في سبيل الإيمان والجهاد وهداية الأمة الإسلامية، واقرن اسمه السامي بالصمود واليقظة. وليس هذا اليوم مجرد استذكار لحزن عابر، بل هو تجلٍ لحقيقة وصفها القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَلَا تُحْسِبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَبُّونَ﴾ (آل عمران/ ١٦٩).

اليوم أدرك الشعب الإيراني مرة أخرى أن فقدان القائد الإلهي، مهما كان جسيماً وفتيلاً، فإن طريقه لا يمكن أن ينطفئ؛ لأن سنة الله قد جرت على بقاء نور الحق، كما قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ﴾ (الصفحة/ ٨). وهذا اليوم يذكرينا بهذه الحقيقة، وهي أن الشهادة ليست نهاية الطريق، بل هي بداية حياة أسمى وأكثر إشراقاً، يبلغ فيها الإنسان ذروة القرب من الله تعالى. وقد ورد عن رسول الله (ص): «فَوْقَ كُلِّ ذِي بَرٍّ رَجُلٌ حَتَّى يُقْتَلَ الرَّجُلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَإِذَا قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَيْسَ فَوْقَهُ بَرٌّ». اليوم مضت أربعة أشهر على استشهاد ذلك القائد الشهيد. أربعة أشهر على عروج رجل بذل روحه في سبيل أمن إيران وعزتها ورفعها، وفي سبيل عزة الأمة الإسلامية وكرامتها.

وفي هذه الأيام التي يدور فيها الحديث عن استشهاد المظلوم، يحن قلبي إلى ليالي

فبراير الباردة من عام ١٩٧٩، إلى تلك الأيام التي تذكّرت فيها الأمة المؤمنة طعم النصر لأول مرة.

وأريد أن أقول: إن قائداً، ذلك القائد الحكيم، الشهيد آية الله العظمى الإمام السيد علي الخامنئي (ص)، قد عاش طوال سبعة وأربعين عاماً من عمر الجمهورية الإسلامية الإيرانية، كل يوم وكأنه يعيش لحظة الشهادة بكل أعماق وجوده.

إنه لم يغب عتاً يوماً، ما زال بيننا حتى ثابتاً شامخاً، أنفاسه لا تُعدُّ بالساعات والدقائق والثواني، غير أن العدو الوقح الغادر ظل يجعله هدفاً دائماً، حتى كأنهم يقتلون في كل يوم شهيداً حياً.

نعم، قائداً حي؛ ولكن حياته ملحمة عظيمة قائمة على حدّ السيف. إن الولايات المتحدة، ذلك الشيطان الأكبر، الذي قال عنه مفجّر الثورة الإسلامية الإمام الخميني (ص): «إنه لا يستطيع أن يفعل شيئاً»، ما برحت ترسم المؤامرات، وتفرض العقوبات، وتشن الحروب الاقتصادية، والأسوأ من ذلك أنها تحلم، في أوهامها، بالتخلص الجسدي من القائد الشهيد. غير أن الشمس كما أشرقت من وراء حرم أرض إيران، وقف قائداً أصلب من الأسم، وأعلى هامة من كل وقت، ثابتاً راسخاً أمام أنظار العالم أجمع.

واليوم ينبغي أن نسأل من جديد: شهادة من نحني هذه الأيام؟ ولتكن الإجابة صريحة: إنه إحياء لاستشهاد جميع الشهداء الذين كانوا يوماً يلبّون نداء ذلك القائد العزيز، ولم يدخروا جهداً في خدمة الثورة الإسلامية والوطن والشعب. لقد توهم

لمظلوميته. وعندما جاء يوم استشهاد الشهيد رئيسي، انكسرت أقلامنا وغرقت أرواحنا في حزن عميق.

وفي أيام استشهاد العلماء النوويين، فاضت عيوننا بالدموع. لقد كانوا جميعاً أبناء القائد الشهيد، وتلامذة مدرسته العميقة الشاملة.

وإذا كنّا اليوم نتحدّث عن «استشهاد القائد الشهيد»، فليس ذلك لمجرد الشوق إليه أو الحنين إلى حضوره أو الحزن على فراقه، بل لأننا نتخيّل ذلك اليوم الذي نشعر فيه بغيباه.

نتخيّل يوماً لا نرى فيه نظراته الثاقبة، ولا نقبل يده الأبوية، ولا نسمع صوته الدافئ الجمهوري المنبعث من أعماق الإيمان واليقين. أو... إن حزن هذه الأيام كفيلاً بأن يذوب الجبال، ويغرق البحار في عاصفة عاتية لا تنتهي.

إننا اليوم لا نتحدّث عن مجرد حادثة أو واقعة، مهما بلغت فظاعتها، بل نتحدّث عن مسيرة امتدت لأكثر من أربعة عقود، كان فيها قائدنا العظيم، في ذكوة الثورة الإسلامية، شهيداً حياً، يتلقى كل يوم جراحاً جديدة من جزاء الحرب المركبة التي يشنها الأعداء؛ يومٌ بالعقوبات، ويومٌ باغتتيال الشخصية، ويومٌ بإشاعات استشهاد، ويومٌ بالاعتداء على حرمة، ويومٌ... ومع ذلك، يظل صابراً، شامخاً كالجبل الراسخ، ويهتف: «نحن أمة الشهادة، والشهادة سعادة».

واليوم، في فقد ذلك القائد العظيم، ما تزال الدموع تنهمر، غير أن وراء هذا البكاء وهذه العبرات تكمن إرادة راسخة وعزيمة لا تلبس، ولدتنا من رحم هذا الحزن.

إن شعباً اهتدى على مدى سنوات بهدائه، يمضي اليوم مستلهماً ذكره، أكثر ثباتاً، وأشدّ عزماً، وأقوى تصميمياً على مواصلة المسير من أي وقت مضى.

إن ذكره ليست مجرد ذكرى إنسان عظيم وقائد حكيم، بل هي ذكرى مسيرة ومنهج وطريق طويل واضح المعالم. طريق بدأ بالإيمان والثبات، واستمر بالجهاد والمجاهدة، وبلغ ذروته بالتضحية والشهادة.

وقد تحوّل هذا الطريق اليوم إلى إرث جماعيّ استحمله الأجيال القادمة وتواصل السير على نهجه. إنه طريق لن يعرف الانسداد، ولن يبلغ يوماً طريقاً مسدوداً.

واليوم فرصة متجددة للتأمل العميق، والعودة إلى الذات، ولطرح هذا السؤال: إلى أيّ مدى اقتربنا مما كان يريد، وكَم جسدنا في واقعنا ما دعا إليه؟ إن هذا اليوم ليس يوماً للحزن والعزاء والبكاء فحسب، بل هو يومٌ لتجديد العهد؛ عهد بمواصلة الطريق، وعهد بالحفاظ على القيم، وعهد بالثبات في مواجهة كل ما وقف هو في وجهه.

واليوم هو أيضاً نقطة انطلاق جديدة؛ انطلاقاً نحو حضور أعمق في قلوب الإيرانيين الذين أحبوته، وفي قلوب كلّ أحرار العالم الذين عرفوه، وأشادوا به بأقلامهم، وشعاراتهم، ومشاعرهم الصادقة. إنه بداية حضور أرسخ في القلوب، وأبقى في صفحات التاريخ.

اليوم، في فقد ذلك القائد العظيم، ما تزال الدموع تنهمر، غير أن وراء هذا البكاء وهذه العبرات تكمن إرادة راسخة وعزيمة لا تلبس

كان الإمام الشهيد، من وراء ذلك المكتب الصغير في حسيبية الإمام الخميني (ص)، ومن تلك الغرفة البسيطة المتواضعة، بعبايته وعمامته المرتبتين دائماً، يلقي الرعب في قلوب وجوارح المستكبرين والطلاعة في العالم. فما إن يقول: «والله»، حتى يهتز الشرق الأوسط.

وإذا ابتسم، امتلأت قلوب المؤمنين دفناً وأملًا. وإذا انحدرت دموعه على وجنتيه اللتين خطّهما الزمن، بكت إيران كلها بحرقه. فمن أين جاءت هذه القوة؟ إنها من كونه ولياً لله، وحجته في الأرض، ونائب الإمام المعصوم (ع). وأما العدو، فهما امتلك من أحدث الطائرات، ومهما حاز من أكثر القنابل تطوراً، فلن يستطيع أن يبلغ إلى ذروة ضميره البقظ، أو يداني سمو وعيه وبصيرته.

وأكرر السؤال: في ذكرى استشهاد من نحن اليوم؟ عندما حلّ يوم استشهاد القائد الشهيد سلیماني، احترقت قلوبنا

في رثاء القائد الشهيد



مرثية في إمام الأمة الشهيد

نيل الحصل

جَحَّتْ دُمُوعُ الْعُيُونِ وَالْدمَاءُ دَمِي

وَأَنْصَبَ بَدْرُ الْهُدَى فِي الْعَالَمِ الرَّجِبِ

قَدْ غَابَ بَدْرُ الدِّيَاجِي وَالرَّذَى جَلَلٌ

وَأَتَمَّ الدِّينَ وَالْإِسْلَامَ فِي صَمَمِ

يَا آيَةَ اللَّهِ يَا حِضْنَ الضَّعَافِ وَمَنْ

أَحْيَا الْمَقَاوِمَةَ الْكُبْرَى بِكُلِّ فَمٍ

خَامِئِي الرِّجَالِ الضَّادِقِينَ هَوَى

مُخَصَّصَ السَّيْبِ بِالْأَنْوَارِ وَالْكَرَمِ

بَأْسَ نَقِي حَيْدَرِي خَطَّ مَنَهْجَهُ

مَنْ جَوْهَرِ الصَّبْرِ أَوْ مَنْ مَعْدِنِ الْهَمَمِ

فِي مَشْهَدِ الرِّضَا الرَّأْيِي مَضَاجِعُهُ

جَوْارِ ظَهْرِ نَقِي بَارِي النَّسَمِ

تَبْكِيكَ لُبَّنَانِ وَالْيَمْنَ السَّعِيدِ كَدًّا

أَرْضُ الْعِرَاقِ وَقُدْسُ غَارِقِ بَدَمِ

كُنْتَ الْأَبَّ الرَّؤُوفَ لِكُلِّ مُضْطَهِّدِ

تَمُدُّهُ بِالْيَقِينِ الْعَدْبِ وَالْحَكْمِ

مِلْبُونِيَّةُ التَّشْيِيعِ قَدْ نَطَقَتْ

أَنَّ الْعَظِيمَ مَضَى كَالْبَحْرِ فِي الْخَيْمِ

إِلَى الْمَقَامِ مُجْتَبَى نَزَعُ نَغْزِيَّةُ

لِيَحْمِلَ الرِّايَةَ الْعَظِيمَى بِلَاسَامِ

خِلَافَةَ النُّورِ تَمْضِي فِي هَدَايَتِهَا

بِخَطْوَةِ الْوَأَقِي كَالْعَزَمِ فِي الْقَدَمِ

وَهُمَّ لِلْأَعْدَاءِ أَنَّ الْجِسْمَ غَيْبَهُ

عَدْرُ الْعَدَا؛ فَالرُّوحُ تَغْصَفُ بِالْقَمَمِ

دِمَاءَ الشَّهَادَةِ لِلْأَحْرَارِ مَشْغَلَةٌ

تُنِيرُ دَرْبَ الْكِرَامَةِ بِالشِّيمِ

فَالرِّايَةُ السَّمَاءَ لَنْ تَسْفُطَ أَبْدَا

وَالْبَيْعَةُ الْمَعْقُودَةُ بِالْدمِ لَمْ تَرِمِ

عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ يَا رُوحَا زَكَّتْ

فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ مَعَ الْأَبْرَارِ وَالنَّعَمِ

في وداع المهيب.. الإمام الشهيد هيبه الإيمان كله!

د جهاد أربوب
باحث وخطيب إسلامي



الوفاء/ ما هذا الذي يشهده العالم؟! ماذا يقول التاريخ عن هكذا تأبين؟! و... ماذا حدث كي يلتفت الكون لمشاهدة، ولمراقبة، ولتأبئة تشييع القائد الشهيد، إمام الثبات، فارس العصر، ومحور القادة، والمؤمن الصابر الفاعل العامل الشهيد الإمام السيد علي الخامنئي (ص)؟! في وداع المهيب لم تسقط السماء أرضاً، بل ارتفعت الجموع إلى السماء عطراً، هناك كانت الصورة مختلفة، فأنت في حضرة الرمزي، في يوم الحسين (ع)، في سماع هديل حق الإمام علي (ع).. في تشييع الطاهر، الإمام الشهيد أطلقت صيحة «الله أكبر» ليعبر النبي الصادق الأمين في خطبة الوداع وحادثة الغدير!

لحظة تاريخية ليست عابرة، بل تحت

الوصية في شارع اغتسل بدموع المحبين العاشقين! كادوا كيدهم، وفي لحظة الوداع رمينا بكيدهم في مزابل التاريخ، وفي لحظة تجمّدت العين كي يرى العالم نتاج المؤمن بقدره، وبأن الحياة كلمة وموقف وشرف!

يا سيدي.. ويا إمام عصري.. ويا من أتم موقفي ومواقف كل المظلومين في الأرض، يوم تشييعك أشرقت الشمس من مغربها، وتواصلت الشروق مع الغروب، فما حدث بليق بالأشرف.

نعم، لا يليق بالأشرف إلا هكذا تأبين لرجل وقف بوجه الاستكبار العالمي، والجبروت الشيطاني، وقوى الخطيئة وانتصر، ولم يخضع لأعداء الله والإنسان والأمة والوطن!

نعم، يا قائد الشهيد الإمام السيد علي الخامنئي (ص) إن مثلك لا يباع أمثالهم.. حتى في لحظة الرحيل!

بعمق الزمان صفحات التاريخ المزين بنعش الإمام الشهيد، إنها لحظة تاريخية جسدت هيبه الإيمان كله في وداع قصيدة آل بيت النبوة الأطهار (ع)، نعم، لانبالغ إن قلنا أن سيرة القائد الشهيد هي نتاج فكر ودين ونور السيرة المحمدية وآل محمد (ص)، إنه قصيدة فاح منها وفيها طيب الأصل والموقف! هلموا.. هلموا يا أتباع علي (ع)، احضنوا أنفاس محمد (ص)، وعانقوا دماء كربلاء.. بحور من الأتباع انتظرت البيعة كي تعيد العهد، وجموع لا بداية لها ولا نهاية كي تقول: «نحن خلف رسالتك، ورسالتك هي ما أنزل على نبينا محمد (ص)». اليوم نودّع الجثمان الذي أخاف العدو؛ ولكن العهد لن يعرف الأقول، وروح السيد القائد الشهيد ستبقى مرفرفة في فكر أهل البأس والكبرياء!..

من قال اغتالوك؟ إنهم واهمون، وهاهي البيعة جسدت

